التّعدّد الصّوتي في رواية شرفات بحر الشّمال لواسيني الأعرج

Polyphony in the novel Sharafat Bahr al-Shamal wawasini al-Araj

د. سروى صباح رجب
مدرس
كليــة التربيــة للعلــوم الانســانية – قســم اللغة العربية

Dr. Sarwa Sabah Rajab
lecturer
College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language

07510601385@uomosul.edu.iq

تاريخ الاستلام **تاريخ القبول**
٢٠٢٣/٩/١٠ **٢٠٢٣/٩/٢٤**

الكلمات المفتاحية: الرّواية الحديثة، التّعدد الصّوتي، الأساليب اللّغويّة، الحوار، التّهجين، الأسلبة.

Keywords: Modern novel, polyphonic, linguistic styles, dialogue, hybridization, stylization.

الملخص

"ظاهرة التّعدّد الصّوتي والأسلوبي" من المفاهيم الحديثة الّتي دخلت إلى الرّواية العربيّة، فتبنّاها الرّوائيّون المعاصرون، لتجسيد أفكارهم في قالب حرّ يحاكي نوعًا من ديمقراطيّة السّرد، واطلاق العنان لكلّ شخصيّة، لتجسّد أسلوبها وحضورها في عالم الرّواية. وهذا ما يعدّ نقلة نوعيّة في حياة الإبداع الرّوائيّ، تحمل الكثير من واقعيّة الخطاب الأدبيّ، بأن تكون كلّ شخصيّة حاضرة بلسانها وخصالها الاجتماعيّة والفردية والنّفسية، تعبّر بلهجتها عن حالها، ما يخلق تنوع الأصوات داخل الرّواية الّتي تتباين وجهة نظر شخصيّاتها في التّعبير عن الأهداف الّتي تسعى إلى بلوغها، لتصبح الرّواية قريبة من لغة الحياة الاجتماعيّة اليوميّة بأصوات شخصيّاتها المنوعة الّتي تعكس تنوع الواقع. وهذا تمامًا ما ذهب إليه الكاتب "واسيني الأعرج" في روايته "شرفات بحر الشّمال"، الّتي لجأ فيها إلى مفهوم التّعدد على صعيد البنى السّرديّة الّتي مزج فيها بين الواقعيّ اليوميّ والأسطوري الوهمي، بلسان شخصيّات وظّفها لغايات متنوعة في مزيجه الرّوائيّ الشّعريّ، حيث الوطن والمنفى، الحبّ والفتنة، المعاناة والتّأقلم؛ ليجمع في خطابه الرّوائي بين "أنا" الجزائري" والآخر الأوروبي في توظيف مجتمعي للحكاية، كانت فيه الشّخصيّات ابنة مجتمعاتها. وهذا ما أظهره الكاتب الّذي حاكى الواقع بلسان شخصيّاته ولهجاتها، فجاء التّعدد الصّوتي مقاربًا لواقعيّة الحدث الرّوائي.

وعليه؛ يفتح هذا البحث الباب على دراسة مزجيّة لرواية حديثة، تعددت فيها الأصوات والأساليب اللّغوية، لتخرجها برؤية سردية جديدة، وهذا ما نسعى إلى اكتشافه بتتبع أسلوبيّة الكاتب وحرية قلمه في اطلاق العنان لشخصيّاته لتعبر عن ذاتها، ولرصد حوار هذه الشّخصيّات مع الآخر، وكيفية نطق كلّ واحدة منها بمفاهيم لغوية مختلفة مكتسبة من عالمها

ومجتمعها، لنكون أمام توضيح لمفهومي التّهجين والأسلبة المتبع في "شرفات بحر الشمال"، لتحليل رّؤية المنظومة الصّوتية المتعددة فضلاً عن البنى الاسلوبية لكل صوت داخل الرواية معتمدين على المنهج السّردي والمنهج الأسلوبيّ، لنهتدى إلى تحقيق أهداف وغاية الدّراسة.

ويبقى لنا إن نقول أنّ في تجربتنا البحثيّة هذه مغامرة جديدة في قعر محيط أسلوبيّ عماده لغة الكاتب في المقام الأوّل، وكيفيّة توظيف الأصوات المختلفة في بناء رواية "شرفات بحر الشّمال".

Abstract

"The phenomenon of vocal and stylistic pluralism" is one of the modern concepts that entered the Arabic novel, and was adopted by contemporary novelists, to embody their ideas in a free form that simulates a kind of democratic narration, and to give free rein to each character, to embody their style and presence in the world of the novel. This is considered a qualitative leap in the life of the novelist's creativity, which carries a lot of realism in the literary discourse, whereby each character presents with his tongue and his social, individual and psychological characteristics, expressing his situation in his dialect, which creates a diversity of voices within the novel whose characters' points of view differ in expressing the goals they seek. to reach it, In order for the novel to become close to the language of daily social life, with the diverse voices of its characters that reflect the diversity of reality. This is exactly what the writer "Wasini Al-Araj" went to in his novel "Balconies of the North Sea", in which he resorted to the concept of pluralism at the level of narrative structures in which he mixed the daily real with the mythical and imaginary, with the tongues of characters he employed for various purposes in his mixture of poetic fiction, where home and exile are. , love and strife, suffering and coping; To bring together in his fictional discourse the Algerian "I" and the European one in a societal utilization of the story, in which the characters were the daughter of their societies. This was shown by the writer who simulated the reality with the tongue of his characters and their dialects, so the polyphony came close to the realism of the fictional event.

Accordingly; This research opens the door to a mixture study of a modern novel, in which there are many voices and linguistic styles, to bring it out with a new narrative vision. From it with different linguistic concepts acquired from its world and society, to be in front of an

explanation of the concepts of hybridization and stylization used in "Balconies of the North Sea", to analyze the vision of the multiple sound system as well as the stylistic structures of each voice within the novel, relying on the narrative approach and the stylistic approach, to be guided to achieve the goals and objectives of the study.

It remains for us to say that in our research experiment, this is a new adventure in the depths of a stylistic environment whose mainstay is the writer's language in the first place, and how to employ different voices in constructing the novel "Balconies of the North Sea".

المقدمة

حال الرّواية الجزائريّة كحال كلّ الرّوايات العربيّة والعالميّة في تصوير حياة شعوبها، فالعمل الأدبي مرآة لحال الشّعب في حقبة زمنيّة معينة. والرّواية الجزائريّة تحاول أن ترصد الواقع وتسجل ما يطرأ عليه من تبدلات تنعكس في الأدب. من هنا ولدت الأساليب الرّوائيّة الحديثة الّتي أنتجت أسلوبًا جديدًا نسعى إلى الكشف عنه، وهو أسلوب التّعدد الصّوتي في رواية شرفات بحر الشّمال للكاتب واسيني الأعرج.

إذ يكسر التّعدد الصّوتي في الرّواية مفهوم اللّغة الصّافيّة والنّسق الواحد، ليفتح المجال أمام مفهوم الشّموليّة، بحيث يضم الكاتب إلى روايته أصوات شخصيّاته كلّ بحسب طبقته ومستواه الاجتماعي والفكري، لا بل أكثر من ذلك؛ إذ يتماهى الصّوت مع الحياة النّفسيّة للناطق به، فالصّوت ليس نتاجاً اجتماعياً فقط، لأنّ الحياة النّفسيّة والعمليّة للشخصيّة تؤثر في استخدامها للمصطلح الصّوتي واللّهجة المحكية، وتؤثر في نطقها، فكلّ يحدث بثقافته. وهذا ما نسعى إلى تتبعه، والإضاءة عليه ودراسته في رواية "شرفات بحر الشّمال للكاتب واسيني الأعرج، لنبين كيفيّة توظيفه وتجسيده لمفهوم التّعدد الصّوتي في البناء الرّوائي. ومن هنا وجدنا وجوب الدّمج في هذه الدّراسة بين المنهج السّردي في دراستنا للرواية وشخصيّاتها، وبين المنهج الأسلوبي في دراسة أسلوب الكاتب في تقديم الشّخصيّة وتتبع ظاهرة التّعدد الصّوتي، وهذا ما يوفره الميدان الأدبيّ الخصب عند القاص "واسيني الأعرج"؛ لنطرح إشكاليتنا البحثيّة على وفق ما يأتي :

"كيف وظّف الكاتب "واسيني الأعرج" مفاهيم التّعدد الصّوتي والتنوع الأسلوبي في روايته "شرفات بحر الشّمال؟

والإجابة عن هذه الإشكاليّة تمكننا من بلوغ غاية الدّراسة وهي:

–اكتشاف مدى براعة الكاتب في توظيف ظاهرة التّعدد الصّوتي في إيضاح العوالم الروائيّة ورؤيته السّردية .

–تبيان مدى أهميّة التّعدد الصّوتي في الرّواية الحديثة.

ولبلوغ النّتائج المرجوة، كان لا بدّ من قراءة الرّواية قراءة نقديّة تظهر مكانتها الأدبيّة من حيث البلاغة الأسلوبيّة الّتي اتبعها الكاتب في مفهوم التّعدد الصّوتي. وقد قسمنا هذا البحث على مقدّمة، ومدخل فيه إطلالة على المفاهيم النّظرية لما يُعرف بالتّعدد الصّوتي، وفيه إضاءة على الرّواية بشكل مختصر، ثم عرض للمتن بمحورين ، محور نظريّ أطّر

مصطلحات الدّراسة في تعريف لغوي واصطلاحي، قبل الانتقال إلى المحور التّطبيقي الثّاني، لتحليل وتبيان تقنية التّعدد الصّوتي في الرّواية من خلال دراسة التّهجين والأسلبة والحوار، لينتهي البحث بخاتمة عامّة تبين وظيفة التّعدد الصّوتي وما يرافقه من تعدد أسلوبي في رواية واسيني الأعرج "شرفات بحر الشّمال".

-التّعدد الصّوتي

لغوياً هو مصطلح متكون من مقطعين أحدهما بولي (poil)، والآخرفون (phdlie) والتي تعني صوت ،والبوليفونية تعني التعدد الصوتي واصطلاحا التعدد الصوتي، "تعدد الذوات القائمة باللفظ، والتي تكون متساوية في الحقوق لكنها مستقلة نسبياً عن صوت المؤلف"[١] ، وهذا لا يعني بالضرورة موت المؤلف لأن باختين جعل المؤلف قرين الرواية لوقوفه خلف روايته. وهو "استعارة استعملها دارسوا الكلام وقد اخذوها من مجال الموسيقى، حيث يعني التناسق القائم بين الاصوات والمقامات الموسيقية في النغم الواحد"[٢]، وبذلك يكون المصطلح مأخوذ من عالم الموسيقى، ليتم نقله إلى حقل الادب والنقد واللسانيات، لذا اتخذ باختين هذه الميزة و وظفها في الدراسات السردية في تعددية الأصوات والالحان المستمدة من الموسيقى، ليقارب ذلك على مستوى تعدد الأصوات واللغات في الرواية[٣]. فيكون السبب الفني في ظهور الرواية البوليفونية، هو التأثر بالموسيقة البوليفونية إذ فيها تتشعب الاصوات وتتداخل خاصة في فن الفوك، الذي يعد أحد فنون البوليفوني إذ تبدو الاصوات متعاقبة فيه على لحن واحد يتكرر عبر طبقات صوتية عدة[٤]، أما في مجال الأدب لا سيما النص الروائي فتعود جذوره في الرواية الحديثة إلى ((دوستويفسكي" الّذي عدّه النّقاد خالق الرّواية الحديثة المبنية على مفهوم التّعدد الصّوتي، الّذي استحدثه "ميخائيل باختين" مُنطلقًا من نصوص دوستويفسكي، ليتجه بها إلى مفهوم الصّوت التّأليفي الدّرامي الّذي تنطق به شخصيّات روائيّة لديها الصلاحيّات الكاملة داخل العمل الرّوائي)) [٥] .

وقد أُطلقت مفاهيم عدّة على الرّواية المتعدّدة الأصوات، منها: الرّواية الحوارية أو البوليفونية أو المتعدّدة اللّغات أو الأصوات، وهي الرّواية الّتي تخالف الرّواية المنولوجيّة المبنيّة على أحادية الصّوت، والرّؤية، والوعي، لأنّ التّعدد الصّوتي يظهر على مستوى الأسلوب واللّغة والشّخوص[٦]، وقد قيل في الرّواية المتعدّدة الأصوات: ((هي رواية التّعدد والتّنوع الاجتماعي للغات والأصوات تنوعًا منظمًا أدبيًا)) [٧].

---

(١) تشكيل المكونات الروائية، مصطفى البرقين: ١٦٣ .

(٢) معجم السرديات، محمد القاضي واخرون: ١٠١.

(٣) الأدب والمجتمع، محمد السادي: ٥٩.

(٤) بين الأدب والموسيقا، اسعد محمد علي: ٣٢.

(٥) شعرية ديستوفيسكي، ميخائيل باختين: ١١.

(٦) ينظر : الخطاب الروائي، ميخائيل باختين: ٣٣.

(٧) ينظر : المصدر نفسه: ٣٣.

والتّعدد الصّوتي يظهر في الوحدات اللّغويّة الأسلوبيّة اللّامتجانسة الّتي تتجلّى في أشكال لسانيّة مختلفة وخاضعة لقواعد لسانيّة متعدّدة[١]. و((التّعدد خاصيّة تخترق الرّواية بكلّ مستوياتها، ما يكثّف دلالاتها الفكريّة ويمنح الخطاب الرّوائيّ بعده الحواري)) [٢].

بذلك فأن الرواية المتعددة الاصوات هي التي تتعدد فيها الشخصيات المتحاورة، و تتعدد فيها وجهات النظر ويختلف فيها الوعي الايديولوجي، بمعنى انها حوارية تعددية تلحق المعنى الديمقراطي بتحررها بشكل من الأشكال من سلطة الراوي المطلق فضلاً عن ابتعادها عن احادية المنظور واللغة والأسلوب، إذ يتحدث فيها بحرية ويعبر عن مواقفها باستقلالية، حتى لو كانت تلك المواقف مخالفة لرأي الكاتب بحال من الأحوال، اي ان كل شخصية فيها تسرد الحدث الروائي عبر منظورها الشخصي ومن وجهة نظرها الخاصة، وبأسلوبها الفردي، اي انها تقدم تجربتها الابداعية عبر اصوات متعددة مما يجعل القارئ الضمني الواعي يختار بكل حرية الموقف المناسب والمنظور الايديولوجي الذي يلائمه من دون ان يكون المتلقي مخدوعا من السارد والكاتب وهذا كله ميزها عن الرواية الأحادية المونولوجية سواء من جانب الراوي او الأسلوب او اللغة[٣]، وهنا يمكننا القول ان الرواية المتعددة الاصوات لا تقوم فقط على تعدد الاصوات والشخصيات والتناص والتهجين والاسلوب، بل تتعدى ذلك الى تعدد في الاحداث والمواقف والفضاءات والرؤى.

وبناءً على ما سبق نستطيع تحديد سمات الرواية المتعددة الأصوات لدى باختين بأنها ما اشتملت على تباين لغوي، أي أساليب لغوية متنوعة ولهجات اجتماعية واقليمية ورهانات مهنية[٤].

وهكذا فان تقنية التعدد الصوتي في الأدب عامة وفي النص الروائي خاصة هي تقنية متقدمة كونها باباً من أبواب التجريب والتجريد الروائي الذي جعل التأليف الروائي أكثر واقعية، إذ يهدف الروائيون من تأليفه إلى انفتاح موقع الكاتب في علاقته بما يروي.

---

(١) ينظر : جمالية التمدد الصوتي في رواية الديوان الاسبرطي لعبد الوهاب عيساوي، الضاوي بريك، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الأنسانية والاجتماعية، مجلد (١٤)، ع، ٢٢) السنة (١٤): ١٢٣.

(٢) ينظر : جمالية التمدد الصوتي في رواية الديوان الاسبرطي لعبد الوهاب عيساوي، الضاوي بريك، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد (١٤)، ع، ٢٢) السنة (١٤): ١٢٤.

(٣) ينظر: لعبة النسيان، محمد برادة: ١٢.

(٤) ينظر :شعرية ديستوفيسكي : ٢٦٥.

وقد عرفت الرّواية الجزائريّة هذا الأسلوب الجمالي في بنائها الفنّي، حيث تعدّدت الأصوات فيها ، ما أكسبها طابع التّعددية من ناحية الرّواة ، وتجسيد الرّؤية الرّوائيّة القريبة من الواقعيّة.

ويؤديّ التّعدد الصّوتي دورًا محوريًّا في التّنوع والتّعدد اللّغوي، كما يعكس تصارع وجهات النّظر، وتعبير كلّ شخصيّة عن وجهتها وفقًا للهجتها.

- ملخص لرواية شرفات بحر الشّمال

هي إحدى أهم وأشهر روايات الروائي الجزائري واسيني الاعرج، كان ترتيبها الثالثة عشر من الروايات والأعمال التي صدرت للكاتب، قدم فيها الكاتب أثر الصراع والظروف الصعبة التي دارت في الجزائر على أبناء جلدته وشعبه من مكان يطل على القارة الأوربية منوعاً في الشخصيات التي ابتدعها من خلال تتبعه لحكاية شاب يعمل نحاة يدعى (ياسين) هاجر بلاده هربا من الظلام والألم، واسترجاع لذكرياته مع عدد من النساء اللاواتي كان لهن أثر في مساره النفسي والفني كعازفة الكمان فتنة مهبولة القرية، وشقيقته زليخة، ووالدته، ونرجس مذيعة التلفزيون ونادين الأستاذة الجامعية وغيروهنّ.

اولا: تعدد الشّخصيّات

- **التعريف بالشخصية**

الشّخصيّة اصطلاحًا تُعرف بمحور الأفكار والآراء العامّة النّاتجة عن وجودها ضمن إطار الجماعة. وهي محور السّرد ومحرك الأحداث. فلا رواية من غير شخصيّات تحرك الحدث الرّوائيّ(١).

- **الشّخصيّات والرّواة**

تميّزت الرّواية من حيث السّرد بمغامرة أسلوبيّة، قارب فيها الكاتب بين السّهل والممتنع الآسر للقارئ، بتراكيب جمعت بين المألوف والغرائبي، حيث استثمر تقانة التّذكر في تقديم الكثير من شخصيّاته، وتقانة التّعبير الحر من حيث تقديم الشّخصيّة لنفسها، والاسترسال في التّعبير عن ذاتها؛ فشخصيّات رواية بحر الشّمال متعدّدة الثّقافة، وهذا ما وضّحه خطابها الرّوائي، وهي كالآتي:

- ياسين: هو البطل القرويّ والنّحات المكتئب الّذي جسدت كلماته حالته النّفسيّة والشّعوريّة والتّعبيريّة، وكأنّ الكاتب حدّث بلسانه عن كلّ ما يجول في بال شخصيّة "ياسين" من موقع كأنه نحات ينحت في فكر الذّاكرة على صخر الإرادة، لذا حمل خطابه الرّوائي الكثير من تداعيات الأفكار والصّور المتداخلة، والّتي تبدلت في نفسه بعد أن بدّل حياته وقرر الانتقال إلى "أمستردام"، ليضع قواعد جديدة لمسيرته هناك، من غير أن تتبدل بلاغة الأنا في استثمار خطابها ونظرتها إلى الأشياء المتداخلة، الّتي تؤدي إلى إظهار الرؤية السردية للشخصيّة ذاتها عن طريق صوتها الفاعل في الحدث الرّوائي، بلغة خطابية مختلفة عن الشّخصيّات الأخرى: **((ياه، هذه هي أمستردام الشّهيّة؟ المدينة البريئة والعذبة الّتي تنام على الماء. مونتسكيو قال عنها: أحبّ فينيس كثيرًا ولكني أحبّ أمستردام أكثر بها نستمتع بالماء بدون أن نحرم من صلابة التّربة. طرقها ناعمة مثل جلد مراهقة، مدينة هادئة ما عدا هدير السّيارات الخافت والتزام المطرّز بالألوان الغريبة الّذي يشقّها طولًا وعرضًا وغيمة رماديّة ومطر لا يتوقّف أبدًا))**(٢).

- فتنة: هي عازفة الكمان التي تحيا حياة الشهرة والأسطرة معاً إذ تمزج في معتقدها الفكري بين فلسفة الموت والحياة وهذا ما يظهره خطاب الراوي في قوله: **((كل فجرٍ كانت تعزف عزفاً جنائزياً. يقول سكان القرية أنها توقظ الأحياء وتنوم الاموات وعندما ينتصف**

(١) ينظر: تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، محمد بو عزة: ٣٩.

(٢) شرفات بحر الشمال، واسيني الأعرج: ٧١.

الليل تنوم الاحياء وتوقظ الاموات، وتنام هي قليلا قبل الاستيقاظ مع الفجر)) [١] وهي الناقمة على مجتمعها والمتمردة على ذاتها تستحضر كل مافي الذاكرة بلسان سليط يجعلها تتمرد بصوت روائي رافض للخضوع **((وحده النسيان يشفي الذاكرة من أوجاعه القاسية. تصور لو حملت الذاكرة كل أحباطاتنا لانفجرت. قلت لا وجود للنسيان. هي كلمة للتسلية فقط مثل أية لعبة تعطى للاطفال للتخلص من شغبهم. نحن لا ننسى عندما نريد ولكننا ننسى عندما تشتهي الذاكرة والذاكرة عندما تشرّع نوافذها للتخلص من ثقل الجراحات لا تستأذن أحد))** [٢] وهي المتأثرة بمقوله "فانسون فان غوخ" قبل انتحاره والتي ساقتها إلى الفعل نفسه وهو الانتحار **((يبدو لي اني خسرت موعدي مع الحياة، وأشعر اليوم كأن هذا منتهاي الذي علي أن أقبل به))** [٣] وقد رافق هذه الشخصية اصوات الناس وكل من تأثرت بهم سلباً أو إيجابياً قبل أن يروي الراوي قصتها **((كان اسمها فتنة، نهايات ديسمبر منذ عشرين سنة بالضبط كانت هنا على حافة هذا الرمل المنسي))** [٤] ليكون في اسلوب الكلمات المنتفاة خيبة في استخدام الجمل القصيرة لتوثيق حضورها داخل الرواية والتعبير عن وجودها الماضي.

- نرجس: هي الصوت الانثوي الرقيق، وتجسد الشخصية المنقذة من عالم الضياع إلى حيث الجمهور والحقيقة وهي مقدمة البرنامج الاذاعي التي تستعمل في لغتها ألفاظا مستمدة من عالم الإعلام **((نسيت اني كنت كل مساء أسعد الناس وادخلهم غمرة الشعر))** [٥] وهي من حببت ياسين بالكتابة والإبداع الأدبي **((كنت أجد متعة خاصة في ملء الفراغات. كان الصوت يضعني داخل حالة الوجد تقربني من متعة الكتابة والتخيل ، وتدفع بي إلى الحفر عميقا في تفاصيل حالة الفقدان..... تحولت من اكسل طالب في الانشاء على الكرة الأرضية كما انت معلمتي تردد دائما ، إلى اشطر تلميذ استطاع في وقت قصير ان يتفوق وان يسترجع ثقته بمرونة الثقافي الأكثر خطورا : الانشاء))** [٦].

- زليخة: جسدت هذه الشّخصيّة مفاهيم الحكمة، ولكن يبدو أنّ الحكمة في المجتمعات العربيّة لا تحيا كثيرًا، فقد ماتت في سن مبكرة، ولكنّ وفاتها كانت بنظر أهل القريّة فعل من عمل السّحرة، وكأنّ الصّوت الأسطوري الشّعبيّ يتسلل ليحاكي أسلوبيّة المعتقد الخرافي

(١) شرفات بحر الشمال، واسيني الأعرج: ٣٢ .
(٢) المصدر نفسه: ٢١ .
(٣) المصدر نفسه: ٦ .
(٤) المصدر نفسه: ٧ .
(٥) المصدر نفسه: ٢٧٢ .
(٦) المصدر نفسه: ١٥٩ .

المتداول: **((قلت لأمّي الّتي ظلّت تؤمن أنّ نحس المهبولة هو الّذي بدأ يمسّ كلّ سكان القرية وأنّ خرزتها القاتلة كانت وراء وفاة زليخة الطّيبة.**

-هي يا يمّا، المهبولة رجعت.

-أحجارها تشدّها، عيناها واعرين يا وليدي)) [١].

- ميمون: ميمون أخ لفتنة ومعلمها الأول للعزف وهو الشخصية المنتقمة من سخرية الناس والمجتمع والتي اتجهت بهذا الانتقام إلى الشهرة و الظهور **((وتحكي لي عن أخيها الذي ترك القرية في وقت ميكر بسبب الناس الذين كانوا يسخرون منه لانه كان يظلّ معلقا على ربابة صفها من جلد الماعز وخشب الصنوبر وخيوط الصيّد. اليوم عندما يراه ناس القرية على الشاشة يقوم فرقا عالمية بكاملها يفتخرون به ويتباهون انه بين قريتهم))** [٢] ما يعني ان هذه الشخصية حملت في واقعها خطابين خطاب المجتمع المتنمر وصوته الساخر ، خطابه الأنا الرافضة للخضوع والمتجهة نحو تمرد وتفوق اجتماعي.

- غلام الله : رجل دين محب لوطنه، يعمل معلما في منطقته، ومدرسا للقرآن في إحدى مساجدها ، فلسف الحياة بعد ان قتلت ابنته الوحيدة على يد جماعة متطرفين يدعون للاسلام وهم ليسوا منه **((عمي غلام الله كان معلما في باب الوادي، عمل مدرسا للقرآن في مسجد السنّة ثم كون نفسه والتحق بإحدى المدارس واشتغل اكثر من أربعين سنة في التعليم الأصلي ثم الثانوي، وعندما قتلت ابنته نواره الوحيدة عند باب الوادي مع الموجات الأولى لاحداث أكتوبر.....ظل عمي غلام الله يقرأ القرآن ويطلب الرحمة لها في الطرقات والاماكن العامة))**[٣] الا أن فلسفته تلك جعلت صوت خطابه ذا لغة سردية مهجنة بألفاظ قرآنية، وسبباً لقتله على يد المشرعين للموت باسم الله الذين رأووا في كلامه كفراً لانهم لم يفهموه**((في اليوم الخامس وجد زاوية صغيرة بقلب السوق يظلل تحتها كل من أتعبه السير، فحط فيها الرمال والجرائد اليومية جاؤوه بأعداد مضاعفة رابطوا اليوم بكامله على مقربة من الشجرة وداخل لحاهم الفحمية تدلت أحقاد السنين لم يقل شيئاً لكنه همس لكبيرهم : اذا كان تخريفي يأذي آذانكم فلا تسمعوا. ويسألونك، ثم يسألونك وهم لا يدرون، أنما هم الخاطؤون ، يقولون : يا غلام الله تنع عن هذه الارض واذهب حيث لا يراك الله ولا الملائكة ولا المقوت قل لهم ، أنا هنا باقون إلى ان يرث الله ارضه وترابه وناسه الصالحين بهت قوم الظلالة وهم لا يعلمون..... دون كبير الملتحين كل كلامه على ورق اصفر كأنسانه**

---

(١) شرفات بحر الشمال، واسيني الأعرج: ٣٥ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه: ١٨٥ .

وفي مساء اليوم نفسه اختطفوه وفي صيام اليوم السابع وجد مستمراً مصلوباً على الشجرة الوحيدة التي في المكان، كتب على ورقة، شقت على صدره العاري؛ هذا مسيلمة الكذاب، عاشر الشيوعين وهم الذين سموه غلام الله والعياذ بالله)) [١].

- كليمونس: هي الفنانة العازفة الّتي تركت أمّها في نفسها سر الفن قبل أن تغادر الحياة، وهي الصّوت والحضور المؤثّر في البطل برهافة الفن والاحساس: **((عندما رفعت رأسي، كانت كليمونس تنظر إليّ بعينين بريئتين كعيني عصفور. كنت أختنق من فرط سعادة أكبر مني.. أيعقل أن تكون الصّدفة بهذا القدر من الكرم والعنف؟))**[٢]، وقد جمع خطابها الرّوائي بين الصّدفة وبعد ذاكرة البطل بأن يصف هذه الصّدفة بالعنف.

- نادين: هي الاستاذة التي التقى فيها ياسين في احدى المعارض اثناء سفره فأحبها من غير ان يكتب لهذا الحب النهاية السعيدة ، فتزوجت من مهندس يعمل في مجال النفط متطرف لتجمع الرواية بين صوت الحدث الواقعي المتمثل بشخصية " نادين " والحدث الفني المتمثل بحب الفنان ياسين لها **((التقيت بنادين استاذة باحدى ثانويات باب الوادي ، كانت تحمل في عينيها الغامضتين شيئا من السخرية والثقة. احببتها وخنقتني غيرتها ، تقول ان المرأة مثل أنثى القردة ، تقتل بدون تردد عندما يؤخذ منها ذكرها الاول .....الدنيا القاسية انستها هواها الاول تزوجت في زحمة الخيبات المتتالية واكلتها تفاصيل المدينة مع مهندس نفطي لا شغل له الا الحرب الخاسرة مع الحياة))**[٣].

وقد رافقت هذه الشّخصيّات الكثير من الشّخصيّات الثّانويّة الّتي حدّثت بلسان حالها وبصوت ذاتها، إذ كان صوت الشّخصيّة ناطقًا بأساليب تعبيرية مختلفة، فيها الاستفهام الّذي يليه الجواب، وكأنّها تجيب ذاتها عن كلّ تساؤل، وفيه الوصف والاسترسال التّعبيريّ، وفوضى الذّاكرة في تشبيه حدثين لا علاقة لهما إلّا عبر حضور استدعته الشّخصيّة لأثر تركه الموقف في ذاتها، وفيه التّصريح والمكاشفة والثّورة والتّمرد بين عالم الحقيقة وعالم الفن.

(١) شرفات بحر الشمال، واسيني الأعرج: ١٩٧-١٩٨ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٧١ .

(٣) المصدر نفسه: ٩٧-٩٨ .

ثانيا: تعدد الأساليب اللّغويّة

تميّزت رواية "شرفات بحر الشّمال" للكاتب "واسيني الأعرج" بسمات فنيّة عدّة، أبرزها التّداخل الزّمني بين الماضي والحاضر، والمزج بين اللّغة العربيّة والفرنسية على مستوى الكتابة، وبين العربيّة الفصحى، والعاميّة المحليّة، والخلط بين الفن الرّوائي والشّعري والأسطوري والسّيرة الذّاتية، وهذا ما سنوضّحه في الدراسة من خلال التقانات الاتية:

أولًا: التّهجين

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور ((التّهجين من فعل هجن، الذي يعني الهجنة في الكلام، ما يعيبك، وقد قال ابن عباس أحمد بن يحيى الهجين الّذي أبوه خير من أمّه، وقال المبرد قيل لولد العربي من غير العربيّة هجين)) [١]، وقد عرف التهجين اصطلاحا بانه ((خاصية اسلوبية في الرواية ، فهو الذي ينقل الرواية من خطاب مونولوجي احادي الى خطاب حواري بولونوفي وبالتالي فهو الذي يكسب الرواية قوتها اللغوية والاسلوبية والايديولوجية)) [٢].

وهو بذلك عدّ ((خاصيّة بوليفونيّة تعبّر عن المبدأ الحواري في الرّواية، وتدلّ على الانفتاح الثّقافي والتّلاقح بين أنماط الفكر والخطابات والأنواع الأدبيّة وأجناسها ضمن النّسق الرّوائي الواحد)) [٣] .

والتّهجين هو تعدد الأساليب والأصوات والرّؤى الإيديولوجيّة والملفوظات اللّسانيّة الّتي تعكس التّنوع الطّبقي والاجتماعي. ويرادف مفهوم التّلاقح القائم على الخلط والمزج بين الأصوات الرّوائيّة الّتي تنطق بها الشّخصيّات في رواية شرفات بحر الشّمال:

فيحضر الصّوت الفلسفي الحكمي:

((-تعرف يا ياسين، نحن هكذا لا نترك وطنًا إلّا لنتزوج قبرًا في المنفى)) [٤] .

مقابل الصّوت العامّي النّاطق باللهجة المحليّة:

((-لا ما فهمتيش مليح. أنتِ هنا. هنا بالضبط)) [٥].

---

(١) لسان العرب:٣١.

(٢) الخجين في روايات احمد المخلوف، جميل حمداوي : ٣٠.

(٣) التعدد اللغوي وحوارية الخطاب في الرواية من خلال تقنيات التهجين الاسلبة التنضيد والمحاكاة الساخرة) ، مأمون عبد الوهاب، المجلة الأكاديمية للابحاث والنشر، العلماء الإصدار الخامس عشر،٥،٧،٢٠٢٠:٥٣٥.

(٤) شرفات بحر الشمال : ٥٥ .

(٥) المصدر نفسه: ٥٥ .

ويحضر المصطلح الفرنسيّ في دولة حكمتها فرنسا وتجاور بحر الشّمال الأوروبي:

((-Ecoute, moi aussi jet'aime plus que tout au monde mais quoi qu'il en soit , ne gache jamais la partie folle en toi. Elle est la plus juste et la plus humaine)) [1].

ويحضر الصّوت الثّائر مقابل ذاك الخانع المستسلم: **((عندما عاد الجميع إلى أرضهم أريد أن أغادرها. ربما لأنّي أكثرهم مرضًا بهذه التّربة، أو أنّ الهزيمة المقترحة عليّ يصعب تحمّلها وبلعها))** [٢].

كما يحضر الصّوت السّردي الوصفي: **((أكملت نومي رغم كابوس فتنة الّذي لاحقني. فقد رأيتها تغرق وهي تقهقه وأنا أبكي مثل الطّفل الصّغير على حافة البحر بدون أن أستطيع انقاذها حتّى امتلأ فمها بالماء))** [٣].

ويحضر صوت الشّعر والدّهشة والغناء والعزف في تداخل الأحداث وتقديم الشّخصيّات:

((ثم ماذا بعد؟

كلّما جئتك، ولّيت وجهك نحو البحر؟

ونسيت أنّ حبّك مثل الحياة،

يستهلكنا قبل أن ندمنه

قلل من خطايا الصّمت وتعال

كلّ شيء في غيابك صار يشبه الفراغ)) [٤].

فضلا عن دخول عدد من الالفاظ القرآنية ضمن لغة النص **((مسكين حتى هو هبلته هذه المجنونة ، الله يحفظنا من الخناس الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس ، ثم غاب منكسا راسه كضابط قروي مهزوم))** [٥]، وهذا التنوع في الأصوات واللغات والأساليب والأساليب هو الذي جعل الرواية تتصف بخاصية التهجين .

---

(١) شرفات بحر الشمال : ٥٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٦ .

(٣) المصدر نفسه: ٥٩ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٦٥ .

(٥) المصدر نفسه: ٥٨ .

ثانيًا: الأسلبة

الأسلبة من طرائق الإبداع في اللّغة الرّوائيّة ويعرّفها "حميد الحمداني" بأنّها "تقليد الأساليب القائم على الجمع بين لغة (أ) من خلال ضمنيّة (ب) في ملفوظ واحد"(١).

والأسلبة نمط أسلوبي يجمع بين الأسلوب التّراثي القديم وبين الأساليب المعاصرة في تحقيق وظائف جمالية وابداعية وخلق دلالات ومعاني جديدة(٢).

ويحدث في الأسلبة أن يكون الصّوت تراثيًا وحديثًا في تداخل مزجي داخل النّص الرّوائي وهو في الرّواية: ((**في الصّباح الباكر سافرت على وقع كلام ناس القرية وهم يقسمون بأغلظ الإيمان أنّهم رأوا المهبولة تتجوّل في الشّوارع التّرابيّة وتعزف أغاني الشؤم. وأنّ روحها الشّريرة ستبقى مدّة طويلة تدور في القرية قبل أن تمحي نهائيًا.**

-عند باب البيت سألتني أمّي، وأنا أهم بتوديعها.

-سمعت عزف المهبولة هذه الليلة؟

-نعم يمّا سمعته جيدًا. ألم أقل لك أنّ المهبولة لم تمت.

-الله يحفظنا يا وليدي من كلّ مكروه. الفقيه يقول دائمًا الأصوات الشّريرة لا تتلاشى إلّا بصعوبة. علينا أن نصبر قليلًا قبل أن تذوب نهائيًا مع رياح الصّيف القادم)) (٣). ففي هذا النّص اعتمد الكاتب تقانة.

السّرد التقليدي الّتي بدأها بالعامل الزمني "في الصّباح الباكر" ليداخل بين القفزات الزمنيّة وهو أسلوب حديث مع صوت الحوار والتّداعي الكلامي.

واتبع أسلوب الأسلبة في رواية الذّكرى وحضور الفن فيها في حديث الشّخصيّة عن الماضي، وحضور ووجود شخصيّات ذات تجربة مماثلة: ((**تعرف يا ياسين، الأقدار غريبة جدًا. في هذا البحر السّاكن الآن تنام عازفة البيانو. يبدو لي أنّ الفنان من الأنانية والنّرجسية بحيث لا يموت إلّا ليدخل قلوب النّاس أبدًا.. ورياح الصّدفة تأتي دائمًا لتكشف قدرًا ظلّ مدّة طويلة مخبوءًا. لولا الصّدفة لما عرفت سرّ هذا التّمثال الّذي أمرّ عليه يوميًّا**

(١) ينظر : مفهوم التهجين والياته في الرواية،(جميل حميداوي): ٨٨.

(٢) ينظر : التعدد اللغوي وحوارية الخطاب في الرواية من خلال تقنيات التهجين الاسلبة التنضيد والمحاكاة الساخرة، مأمون عبد الوهاب، المجلة الاكاديمية للابحاث والنشر الاصدار: ١٣ ، ١٥ ، ٢٠٠ .

(٣) شرفات بحر الشمال : ٦٢.

عشرات المرّات.. وحتّى عندما أتوقف لأقرأ كلمات اللّوحة النّحاسية الّتي كُتب عليها: [على هذه الحافة تنام عازفة البيانو كنزة، زوجة الأمير الهولندي الحزين)) (١).

إذ تتمظهر الأسلبة الحوارية هنا من خلال التوليف الواقعي والعجائبي والجمع بين لغتيهما التراثية والمعاصرة لخلق نوع من المتعة والتشويق لدى المتلقي تجعله يحلق عالياً في أخيلته.

كما ظهر أسلوب الأسلبة في الرّواية في المزج بين النّمني والحوار والوصف، واللّغة الفصحى مع اللّهجة العاميّة في تداخل أسلوبيّ هدف إلى الكشف والإيضاح:

((-هل تبقين كثيرًا في القرية؟

قالتها أمّي وهي تتمنّى في أعماقها أن تسمع ما يرضيها، ما يوحي بأنّ المهبولة لن تبقى إلّا قليلًا.

-مانيش عارفة يا يمّا ميزار. ما نمشيش إلّا إذا أطلق الوليّ سراحي)) (٢).

بلغة حوارية سردية يؤسلب الكاتب هذا النص بالغرائبية والعجائبية المتأصلة بالفكر الانساني من خلال جعله الواقعي محاكياً للماضي وموروثاته هذا فضلا عن وجود أساليب لغوية أخرى لا يسعنا المجال لذكرها كأسلوب الرسائل* والقرآن الكريم**، وغيرها.

ثالثًا: الحوار الخالص

الحوار شكل دراميتيكي فلسفيّ محاط باطار مونولوجي متين ومتماسك(٣)، وفي الرّواية المتعدّدة الأصوات يصبح الحوار يشبه الحوار المسرحي فيتماهى العمل الرّوائي مع العمل المسرحي في حوار سلسل متين هدفه الكشف والإيضاح: عبر امثال عدة منها ما وجدناه في رواية شرفان بحر الشمال إذ منه ماجاء على هيئة حوار خارجي مثال ذلك.

((-مسافر غدًا إذن.

-وبلا رجعة. هذه البلاد ليست لنا يا عمي الطّاهر. أدركت هذه الحقيقة متأخرًا ولكني أدركتها على الأقل.

-ستخسرك البلاد.

---

(١) المصدر نفسه: ٢٧٩ .

(٢) شرفات بحر الشمال : ٣٦ .

* ٢٠٤.

** ٨٥ ، ٥٩، ١٤٦، ١٩٣، ١٩٤،....

(٣) ينظر: الخطاب الروائي : ٢٥.

-لا أعتقد. تعرف يا عمّي الطّاهر، في هذه البلاد personne n'est indispensable **فلن تتأثّر لغيابنا. ربما قد تسعد أكثر. فهي اليوم لمن صنعوا فراشها منذ الاستقلال، ويرشونها كلّ ليلة لمزيد من العهر والقتل والسّقوط.**

-سنخسرك نحن على الأقلّ.

-يكثر خيرك. من اليوم تستطيع ترميم بيتك كما تشته))[١].

وقد عكس هذا النص بلغة حوارية اختلاف التفكير بين جيلين (مسافر غداً) الذات المحبطة، وعمي الطاهر الذات الخاضعة فضلاً عن خلق عوالم لغوية مختلفة ومتعددة تعكس الايديولوجية التي تحرك هذا المجتمع وأساليبه في التعامل مع مشاكل الواقع، فضلا عن امثلة اخرى جاءت على هيئة حوار داخلي من ذلك نص عبر من خلاله الروائي عن رؤيته للعالم العربي مستخدما لغة رمزية معبرة يقول فيه **((الناس هنا يأتون لسماع الشعر مثل الذي يذهب إلى سهرة، ازواج بألبسة شيقة ومريحة، أحياناً تأخذني العيرة الطفولية والحسد. لماذا أوطاننا تصر على الموت والرماد والام؟ لماذا تحرم نساؤنا من أن يكن جميلات وعاشقات؟ لماذا يصر رجالنا على ذكورة هم أول من يدرك سخافتها؟ أهو التوحش الذي لم تخرج منه ام علامات عرض قديم لا نشفى منه الا لتلد أخفاقاتنا مرضاً آخر مشابهاً وأكثر تدميراً منه))** [٢].

وبذلك تميّز الحوار في رواية "شرفات بحر الشّمال" بأنّه حوار خالص نابع من أعماق الشّخصيّة، يسهم في تداعي أفكارها والتّعبير عن الأنا، كلّ بحسب أسلوبه وبصوته الرّوائي، وهذا ما دلّ على ظاهرة التّعدد الصّوتي:

(١) شرفات بحر الشمال : ١١ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٦١ .

الخاتمـــة

لقد صوّر الروائي الجزائري واسيني الأعرج الفكرة الرّوائية بلسان سردي/ صوتي تعددت فيه الشّخصيّات والطّبقات، وتعدد فيه حضور الأنا والآخر خدمة لغرضه الرّوائي المتحرر من قوالب التّقليد نحو الانفتاح المسرحي بأساليب تقرب الرّواية الحديثة من عالم التّمثيل والمحاكاة والتّجسيد، بأن تكون كلّ شخصيّة ناطقة بهواجسها وأفكارها وتطلعاتها وواقعها داخل فلك العمل الروائي.

وبعد أن خضنا تجربة البحث عن ظاهرة التّعدد الصّوتي في رواية "شرفات بحر الشّمال على خطى المنهجين السّردي والأسلوبي، تبين لنا النتائج الآتية:

- كانت لغة الرواية لغة شعرية عميقة وممتدة ، يساندها السرد المسهب في الوصف العميق للأشخاص والامكنة في اتحاد كلي عبر ماضيهم وحاضرهم.
- يشكل التّعدد الصّوتي مفهومًا حديثًا في كتابة الرّواية العربية، وتقديمها إلى القارئ بهواجس شخصيّاتها، الّتي تكسر حضور الزّمن في تماهٍ يمتد فيه الماضي إلى عمق الحاضر مع رؤية روائيّة تستعيد ما في ذاكرة الشّخصيّة لتفرغه في السّرد. وهذا تمامًا ما فعله الكاتب واسيني الأعرج، ليجعل من بحر الشّمال شرفة معاناة، أطلّ فيها على مياه الواقعيّة في سرد تعدّدت أساليبه والغاية واحدة هي تصوير حال الشّعب الجزائري بمختلف طبقاته وفئاته.
- استطاع الكاتب خلق تعددية أسلوبية قائمة على تعددية الموقف والرّؤية السّردية إلى الحدث، متبعًا أسلوب التّهجين والأسبلة والحوار الخالص، ليكشف عن الصّوت الجزائري المتمرد والصّارخ بوجه واقعٍ شرفاته تمتد شمالًا نحو العلي.

ثبت المصادر

❖ شرفات بحر الشمال، واسيني الأعرج، دار الآداب، بيروت، ط١، د. ت.

المصادر

أولاً: الكتب

❖ الأدب والمجتمع،. محمد ساري، دار الأمل لطباعة والنشر، التوزيع، الجوائر، ٢٠٠٩.

❖ بين الأدب والموسيقى، أسعد محمد علي، دار آفاق عربية، ١٩٨٥.

❖ تحليل النص السردي تقنيات مفاهيم، محمد بو عزة، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٠.

❖ تشكيل المكونات الروائية، مصطفى المربقين ، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٠١.

❖ التهجين في روايات أحمد مخلوف، جميل حمداوي، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، ط١، ٢٠٢٠.

❖ الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، احمد برادة، دار الأمان الرباط، ط١، ١٩٨٦.

❖ شعرية ديتويفسكي، ميخائيل باختين، جميل نصيف التكريتي، دار توبقال، المغرب ط١، ١٩٨٩.

❖ لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، د. ط، د. ت.

❖ لعبة النسيان، محمد برادة، دار الأمان ،مغرب، ٢٠٠٣.

❖ معجم السرديات، محمد القاضي، وآخرون، دار محمد علي للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٩.

❖ مفهوم التهجين وآلياته في الرواية، جميل حمداوي، دار النابغة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.

ثانياً: الدوريات

❖ التعدد اللغوي وحوارية الخطاب في الرواية من خلال تقنيات (التهجين الاسلبة التنضيد والمحاكاة الساخرة) مأمون عبدالوهاب، المحلية الأكاديمية للابحاث والنشر العلمي، الإصدار ١٥، ٥، ٧، ٢٠٢٠.

❖ جماليات التعدد الصوتي في رواية الديوان الاسبرطي عبدالوهاب عيساوي الضارية بريك، المحلية العربية للابحاث والدراسات للعلوم الأنسانية والاجتماعية / م، ٨٤، ٤ (٢) نسخة ١٤.